مذنب هالى

المذنب جسم يدور حول الشمس وله رأس ساطع وذيل أقل سطوعاً يكون دائماً منحرفاً عن الشمس ... وتشبه المذنبات الكواكب السيارة فى أنها تدور باستمرار حول الشمس ، وتختلف عنها فى أن مساراتها فى الغالب شديدة الاستطالة ، ولذا قد يكون المذنب فى وقت من الأوقات بعيداً جداً فى أعماق الفضاء الباردة وفى وقت آخر يكون قريباً كل القرب من الشمس .

والمذنبات لا ترى عادة حتى تتعرض تماماً لضوء الشمس وحرارتها وعندئذ تظهر بل ويهتم بها الناس اهتماماً كبيراً لا يتناسب مطلقاً مع أهميتها الحقيقية ، وهى أيضاً تتمزق عندما تدخل المنطقة الخطرة المحيطة بجسم كبير مثل الشمس أو المشترى ، والقطع التى تنفصل عنها تكون ما نسميه النيازك.

ومن أشهر المذنبات على الإطلاق مذنب هالى والذى ينسب إلى العالم الإنجليزى أدموند هالى الذى كان مغرماً برصد المذنبات ودراستها ، ومن حسن حظه أنه عاصر المذنب الذى ظهر عام ١٦٨٢م (وعرف لاحقاً باسمه) وبعد رجوعه إلى السجلات الفلكية أصبح على قناعة بأن المذنب الذى شاهده هو نفسه الذى ظهر أيضاً فى عامى ١٥٣٠م و ١٦٠٦م ، ولأن الفرق بين التواريخ الثلاثة يبلغ (٧٦ عاماً و ١٠ أيام) توقع هالى ظهوره مجدداً فى الأعوام

١٧٥٨م و ١٨٣٤م و ١٩١٠م و ١٩٨٦م (والتاريخ الأخير هو آخر مرة شوهد فيها قبل عودته التالية عام ٢٠٦٢م) ، ورغم أن هالى توفى قبل ظهوره مجدداً إلا أن توقعاته كانت فى محلها وظهر المذنب بعد ٧٦ عاماً بالضبط (فأطلق عليه مذنب هالى تكريماً له)!!.

ورغم أن الفضل يعود إلى أدموند هالى فى لكتشاف دورية المذنبات لكنه بالطبع ليس أول من رصدها ، ذلك أن أولى الكتابات التى تشير إلى ذلك تعود إلى رسم تركه قدماء المصريين منذ حوالى ٣٢٠٠ عام ... حاول الفنان المصرى فيه التعبير عن مشاهدته للمذنبات ... ومن خلال رسم للألهة " نوت " وقد تهدل شعرها ،وانسابت منه ضفائر تشبه الذنب الطويل .

واعترف اليونانيون القدماء ، بأن المصريين هم أول من سجل ظاهرة المذنبات ، من خلال تشبيهها بالشعر الطويل المنسدل من رؤوس الجميلات !!.

كما أن التاريخ الإسلامى يزخر بوصف مذنبات كثيرة من بينها "هالى " نفسه ويتضح هذا من تطابق تواريخ الرصد مع مواعيد ظهور المذنب (التى تطلب فقط طرح ٧٦ عاماً من تاريخ آخر ظهور...) فقد تحدث ابن إياس مثلاً عن ظهور مذنب " هالى " فى كتاب، بدائع الزهور عام ١٤٥٤ م كما سجل ظهوره ابن الأثير عام ١٢٢٢م وقبل ذلك سجله المقريزى فى رسالة إتحاف الحنفاء عام ٩٨٩ م ، كما سجله ابن الجوزى فى كتاب المنتظم عام ٩١٣ م .

ويعد التسجيل الأخير أدق وأوضح رصد للمذنب هالى فى التراث الإسلامى ، فقد ألف عنه الفيلسوف أبو إسحاق الكندى رسالة بعنوان " رسالة خاصة فيما رصد من الأثر العظيم الذى ظهر فى سنة اثنين وعشرين ومائتين للهجرة " ... كما وصفه ابن الأثير فى قوله " فى سنة اثنين وعشرين ومائتين للهجرة ظهر عن يسار القبلة كوكب ذو ذنب وكان أول ما طلع من المغرب ثم

رنى نحو المشرق وكان أبيضاً طويلاً فهال الناس وعظم أمره عليهم " ... وتتحدث الأخبار عن رعب جماعى أصاب الناس فى ذلك الوقت اعتقاداً منهم أن كوكباً غريباً سيسقط على الأرض ... وحين اختفى عن الأنظار بقى فى ذاكرة الناس .

بقى أن أشير إلى أن هناك مذنبات كثيرة – ورد ذكرها فى الرسائل العلمية وكتب التراث العربية – لا تتفق مع دورة هالى – ولكنها تتوافق مع مذنبات أخرى تمر بالأرض فى أوقات منتظمة ... فهناك مثلاً المذنب أنكى صاحب أقصر دورة (٣,٣ أعوام فقط) والمذنب كوهوتيك (نحو ٨٠ عاماً) والمذنب هيل – بوب الذى لا يمر بالأرض إلا مرة واحدة كل ٤٢١٠ أعوام (ولولا مروره بالأرض فى يوليو ١٩٩٥ م لما علم بوجوده أحد).

قوس قزح

ظاهرة جوية تشاهد فى السماء بعد سقوط المطر وتشبع الجو بقطرات الماء ، ذلك أن أشعة الشمس عند مرورها خلال هذه القطرات تتكسر كما ينكسر الشعاع الضوئى النافذ إلى منشور زجاجى ويتحلل إلى ألوان الطيف ، فيشاهد فى السماء قوس يتكون من الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى (أزرق غامق) والبنفسجى ، وأوضح ما يشاهد قوس قزح على المرتفعات عندما تكون الشمس خلف الناظر ، كما يمكن مشاهدته فى الرذاذ الذى يصدر من شلالات المياه ، وفى بعض الليالى القمرية للسبب ذاته .

يظهر قوس قزح عادة بشكل نصف دائرى ، وفى حالات نادرة يكون قمرياً ، حين يكون إنكسار ضوء القمر هو المسبب له عبر قطرات الماء ، وعندها يظهر للمشاهد ونتيجة لضوئه الخافت أبيض اللون ، لأن العين البشرية لا تستطيع أن ترى الألوان فى الليل .

وقد استطاع العالم الحسن بن الهيثم فى القرن العاشر الميلادى التعبير عن حالات تمازج الألوان وتفسير ظاهرة قوس قزح بشكل علمى فى كتابه المناظر بما يتفق والحقائق العلمية المؤكدة.

باخ ... عبقرى الموسيقى الكلاسيكية

يعد الموسيقى الألمانى " يوهان سباستيان باخ " (١٦٨٥م – ١٧٥٠م) بحق عبقرى الموسيقى الكلاسيكية ... ولد فى عائلة موسيقية أنجبت ما يزيد على الخمسين موسيقياً هو أعظمهم على الإطلاق ، ويدين له كل فرع من فروع الموسيقى ، ما عدا الأوبرا فهى الشكل الموسيقى الوحيد الذى لم يستلهمه .

كان أبوه موسيقياً ولذلك علمه منذ الصغر العزف على الكمان والبيانو ومختلف الآلات الوترية وعلمه أخوه الأكبر العزف على الأرغن ... وكان الشاب قد ولع بالموسيقى فأخذ يعمل بجد ومثابرة وبدأ يؤكد عبقريته.

ويقول عنه " ريتشارد فاجنر " أنه كان " أعظم معجزة فى تاريخ الموسيقى كله " فقد كانت أعماله تتفق وعصر حفل بتغييرات كبيرة فى تطور الموسيقى الأوربية ، وقد وصل باخ بموسيقى العصور الوسطى الدينية متعددة الأصوات إلى ذروتها ، وفى نفس الوقت أضفى أبعاداً جديدة على الموسيقى الدارجة التى كانت فى بداية نشأتها ، وهى موسيقى كانت تعتمد على علم النغم محتفظاً فى مجال التأليف الموسيقى بمكان بارز لمفهوم جديد للغناء والرقص وصل إلى أوج ازدهاره فى موسيقى الآلات والموسيقى السيمفونية لبتهوفن ، وقد مزج باخ فى أعماله بين هذين المجالين المتعارضين وجمعهما بطريقة تدل

على العبقرية فى شكل موسيقى واحد.

كانت موهبته غير العادية فى الإبداع مبعث العديد من الأعمال الرائعة فى كل الأشكال الموسيقية وقد ظل طيلة حياته موضع التقدير كعازف أرغن يتميز بموهبة عالية وكمؤلف ، وبعد وفاته أسدل الستار على أعماله إلى أن اكتشفها بيتهوفن وأعلنها " مندلسون " إلى عشاق الموسيقى الرومانتيكية ، وإلى اليوم لا يزال كثيرون من الموسيقيين يستلهمون حركاته الموسيقية التى تتسم بالكمال.

تزوج باخ مرتين وكان يرتبط دائماً بأسرة كبيرة العدد فقد أنجب من زوجته الأولى العديد من الأطفال ، وبعد اقترانه بزوجته الثانية وجد نفسه أباً لأحد عشر ابناً وتسع بنات ، وكان أداؤه الموسيقى فى محيط الأسرة باعثاً له على تأليف عدد من القطع البسيطة التى يستطيع الأطفال تأديتها ، ومن أشهر هذه القطع " الكتب الموسيقية الصغيرة ".

وعلاوة على الموسيقى الآلية البحتة ألف باخ موسيقى صوتية رائعة ... وبالرغم من اختفاء عدد من مؤلفاته لعدم طبعها فقد بقى لنا منها مائتا " كونتاتا " مكتوبة للكورس أو للصوت الفردى وهذا الجمع يعد فريداً من نوعه فى كل التاريخ الموسيقى ... ولكن أشهر أعماله الصوتية وأكثرها كمالاً هى " الآلام " التى استلهمها من العهد الجديد ... وتلمع عبقرية باخ الموسيقية فى " قداس ليلة عيد الميلاد " الذى يروى قصة مولد المسيح فهى على مستوى التأليف للآلات الموسيقية كانت تنطوى على شئ جديد تماماً بالنسبة للعصر ولم يسبق أن وجد ما يفوقها حتى يومنا هذا .

وقد كان من أبناء باخ " ويلهام فريد مان " و " وكارل فيليب امانيويل " و " جوهان كريستيان " وكانوا موسيقيين مبدعين أسهم كل منهم مساهمة قيمة فى تطور الموسيقى.

قصر الإليزيه

كان فى البداية فندقاً ، وضع تصميماته المهندس المعمارى " موبليه " ، وافتتح عام ١٧١٨ باسم فندق " إيفرو " حيث كان يملكه الكونت ايفـرو ، فـى حفلة راقصة امتلأت بالمدعوين من وجهاء الطبقة الراقية فـى فرنسـا وعلـى رأسها العائلة المالكة وحاشيتها ، يتقدمهم جميعاً الوصى على العـرش آنـذاك والذى كان عاشقاً كبيراً لحياة الترف ، والذى قرر منح " كونت ايفرو " قطعـة الأرض المجاورة لحديقة الفندق ، كى تستوعب أكبر عدد من المـدعوين فـى المستقبل ، وهكذا ظل الإليزيه يكبر ويتوسع ويشهد الحفلات الصاخبة من النوع الأسطورى الباذخ حتى نال تلك التسمية التى أطلقتها عليه إحدى قريبات الملـك لويس السادس عشر " الإليزيه " وتعنى " جنة الصالحين " هذا الاسم الذى ظـل يعرف به هذا المبنى حتى اليوم .

وبعد وفاة الكونت ايفرو صاحب الفندق ، قامت الماركيزة مدام بومبادور الصديقة الخاصة للملك لويس الخامس عشر بشراء الإليزيه عام ١٧٥٣ ، ليكون منزلاً ومرتعاً لحفلاتها الصاخبة ، مما جعل هذه الماركيزة أشهر من ملكة فرنسا نفسها ، يسعى إليها النبلاء والوزراء ورجال الدولة ، وبدأ الإليزيه كمكان يدار منه الحكم ، وفيه تتخذ القرارات ، وتصدر المراسيم ، ولكـن بطريقـة غيـر رسمية .

بعد وفاة الماركيزة بومبادور هدأ الإليزيه قليلاً إذ استخدمته الحكومة الفرنسية كقصر ضيافة لكبار الزوار الأجانب ، من مبعوثى الملوك والوزراء والسفراء فوق العادة ، كما خصص جانب منه للحرس الملكى ، ومع أفول الملكية اشترى أحد كبار أغنياء فرنسا " نيقولا بوجون " قصر الإليزيه ، ليكون سكناً له مما جعل " بوجون " يستمد من هذا البناء التاريخى نفوذاً كبيراً فى أوساط الحكم ، وبعد وفاة بوجون صار الإليزيه مقراً للمطبعة الوطنية ومن ثم أصبح فى وقت لاحق " منتدى الثورة ".

ومنذ انقلاب ١٧٩٩ رافق الإليزيه نابليون بونابرت أعظم أباطرة فرنسا على مر تاريخها ، واستقبل عودته منتصراً بعد أن أسس أوسع امبراطورية فرنسية ، كما اتسع الإليزيه أيضاً لحياته الخاصة ، إلى أن كان الجرح الكبير فى القصر يوم هزيمة نابليون ، على أثر الحملة الروسية والجيوش المتحالفة معها فى معركة " لايبزغ " عام ١٨١٣ ليرى سيده يوقع على وثيقة تنازله ويحمل حقائبه ويرحل إلى جزيرة منفية ليحل فى أجنحة القصر " الكسندر " قيصر روسيا ومعه فرق القوزاق ، وسرعان ما هرب نابليون من المنفى وعاد إلى باريس إمبراطوراً ، لكن فرحة الإليزيه بهذه العودة لم تطل ... فقد كانت أياماً معدودة أحصاها التاريخ يوماً يوماً ، فكانت مائة يوم آخرها يوم " ووترلو " حين انهزم الإمبراطور العظيم أمام القائد الإنجليزى " دوق ولينجتون " .

وكان عزاء الإليزيه فى نابليون فى استقباله لابن نابليون من ماري لويز " نابليون الثانى" وكان معروفاً باسم " ملك روما " ، وبعد نابليون الثانى جاء "نابليون الثالث" ابن أخت نابليون الكبير والذى كان معروفاً باسمه " لويس نابليون " وهو أول رئيس للجمهورية الثانية ، وقد أنفق نابليون الثالث مبالغ طائلة على إصلاح الإليزيه وترميمه ، وأضاف إليه أجنحة كثيرة ، قبل أن يتم عزله عام ١٨٥١ نتيجة الحرب الفرنسية – الروسية والتى كانت كارثة بالنسبة

له ولفرنسا ، فاضطر لأن يقضى بقية حياته فى قصر التويليرى الشهير .

لم يصبح الإليزيه المقر الرسمى والدائم لرئيس فرنسا إلا فى عهد المارشال " موريس ماكماهون " عام ١٨٧١ حين أصدر مرسوماً ينص على أن الإليزيه هو المقر الرسمى لرئيس الجمهورية الفرنسية ، وقد أضاف رؤساء الجمهوريات العديد من التفاصيل التى أضفت على قصر الإليزيه بهاءً ورونقاً مثل إنشاء الحديقة الشتوية ، وقاعة الاحتفالات ، والزخارف والتماثيل ... ولعل أصعب فترة فى تاريخ الإليزيه هى فترة إغلاقه عام ١٩٤٠ عقب احتلال الألمان لفرنسا ودخولهم باريس ، فقد تجاهل الألمان الإليزيه ورمزه التاريخى فظل مغلقاً طيلة سبع سنوات إلى أن فتحه " فانسان أوريول " الذى جعل فى القصر دائرة مدنية وأخرى عسكرية ، وجهازاً صحفياً خاصاً بالقصر ، وقام بتخصيص قاعات الدور الأول لاستقبال واستضافة الشخصيات المهمة وشيد فى القصر مطبخاً تحت الأرض ، خلف أوريول فى الإليزيه " رينيه كونى " لكن أحداث الجزائر قضت على مستقبله السياسى ، فجاء بعده الجنرال ديجول ، حيث تحول القصر فى عهده إلى مكان يضج بالهيبة والجدية والعمل .

السيارات ... وحلم الانتقال

ظل حلم ابتكار وسيلة ميكانيكية تنقل الناس من مكان إلى آخر يـراود الإنسان زمناً طويلاً ، وذلك بدلاً من العربة التى تجرها الخيول أو الحيوانـات الأخرى ، والتى ظلت الوسيلة الرئيسية التى تقوم بهذا الدور آلاف السنين ، إلى أن تحقق ذلك الحلم عام ١٧٦٩م تقريباً ، عندما قام الفرنسى " نيقولا كونيـو " باختراع أول سيارة تعمل بالبخار ، والتى تعد الجد الأول للسـيارة ، وكانـت عبارة عن سيارة ضخمة ثقيلة الوزن ، لها ثلاث عجلات ، وغلاية ضخمة فى مقدمتها لتوليد البخار اللازم لحركة الموتور ، وكانت تسير بسرعة بطيئة مـن ٣ : ٥ كيلومترات فقط فى الساعة الواحدة ، وكانت تتوقف كل ١٥ دقيقة ليعـاد ملؤها بالماء .

وقد أوقعت هذه السيارة مخترعها فى أول حادث سيارة فـى العـالم ، عندما اصطدمت بحائط ، وقد توقف استخدام هذا الطراز من السيارات بعد فترة قصيرة جداً من اختراعه .

استمرت المحاولات المضنية لتطوير السيارة البخارية على مدار مائـة عام تقريباً ، لكن لم تظهر خلال هذه المدة سيارة سريعة الحركة سهلة الاستخدام فى متناول الناس ، إلى أن ظهر أول المحركات ذو الاحتراق الداخلى ، والتـى

سرعان ما حلت محل المحركات التى تدور بالبخار ، ويعـود اختـراع هـذا المحرك إلى عدد من الفنيين فى مجال " الميكانيكا " مثل " رينوار " الفرنسـى ، و" أوتو " و " لانجن " الألمانيين ، و " بارسانتى " و " ماتوتشى " الإيطاليين .

ويعد الألمانيان " كارل بنز " و " جوتليب ديملر " الأبـوين الحقيقيـين للسيارة الحديثة ، فقد صنعا أولى العربات بمحرك يعمل بالبنزين ، بفارق زمنى بينهما لا يتعدى بضعة أشهر ١٨٨٥ – ١٨٨٦.

ففى سنة ١٨٨٣ صنع " ديملر " أول المحركات الخفيفة الـوزن التـى تعمل بالبنزين ، وتدور بسرعة كبيرة ، وركبه على دراجة خشبية سنة ١٨٨٥ ، وفى السنة التالية صنع أولى سياراته ، وكانت تسير علـى أربـع عجـلات ، وبطريقة مستقلة قام " بنز " بصنع سيارته الأولى ذات العجلات الثلاث ومحرك يركب بالعرض فى مؤخرة السيارة .

ثم ظهرت الإطارات المصنوعة من المطاط المنفوخ بالهواء عام ١٨٨٨ على يد مبتكرها الإنجليزى " جون دانلوب " وكان لهذه الإطارات دور كبير فى زيادة سرعة السيارة وسهولة حركتها .

ولعل من أهم الأمور التى أدت إلى انتشار السيارة على نطاق واسع فى جميع أنحاء العالم هو ما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٠٨ عندما صمم الأمريكى " هنرى فورد " أول سيارة شعبية رخيصة الثمن ، سهلة القيادة، جميلة المنظر تسير بسرعة عالية ، وقد أطلق على سيارته اسم " تى فورد " .

وقد راجت هذه السيارة رواجاً كبيراً حتى أنه بيع منها أكثـر مـن ١٥ مليون سيارة تقريباً ، وذلك قبل توقف صنعها سنة ١٩٢٧ ، وبذلك تعد سـيارة "فورد" هى أول سيارة للجميع .

وكانت معظم السيارات عند بداية تصنيعها بدون غطـاء يحمـى مـن

يركبها ، ثم صارت لها أغطية قوية ، وهيكل معدنى قوى انسيابى الشكل ، كما زودت بمستودع لحفظ الحقائب ، وأصبحت السيارة أكثر قوة ومتانة وسرعة ، وخلال الحرب العالمية الثانية ظهرت سيارات يمكنها السير على الأراضى الوعرة ، ثم ظهرت بعد الحرب نماذج أخرى من سيارات ، يمكنها السير فى الصحارى ووسط الغابات ، أو على شواطئ البحار أو فى الماء ، وهى ما تعرف باسم السيارة البرمائية التى ظهرت فى الستينيات .

ثم أجريت بعد ذلك تعديلات شتى جعلت من التنقل بالسيارة متعة كبيرة، فأصبحت مكيفة الهواء ، مزودة بوسائل الاتصال المختلفة ، كالتليفون والراديو والتليفزيون ... وغيرها .

كيف مال برج بيزا ؟

كثير من الناس لا يعرفون شيئاً عن مدينة بيزا الإيطالية ، وكل ما يعرفونه عنها أن بها البرج المائل ، وقد أنشئ هذا البرج أصلاً ليكون برج أجراس .

وبرج بيزا المائل عبارة عن بناء جميل من الرخام الأبيض ذو أعمدة رفيعة تبدو من بعيد وكأنها أسلاك من الفضة ، وشهرة برج بيزا لا ترجع إلى كونه آية فى البناء بل لأنه يخيل للناظرين إليه أنه فى طريقه إلى السقوط ومهما يكن الأمر فما زال البرج قائماً.

بدأ العمل فيه عام ١٧٧٣ م ، واستغرق بناؤه (١٧٤) عاماً ، وبدأ يأخذ هذا الوضع المائل قبل أن ينتهى العمل فيه بمدة طويلة ، ويرجع سبب الميل إلى أن أساسات البناء لم توضع على أرض صلبة ، واستمر البناءون فى عملهم يعملون بالبرج طابقاً بعد طابق حتى بلغ ارتفاعه ٥٥ متراً ... ولقد زادت نسبة الميل خلال السنين التى أعقبت بناء البرج ، ولكن من مدة ليست بعيدة تمت عملية تقوية لأساسات البرج ، ولا ينتظر أن تزداد نسبة الميل مرة أخرى ، وقد استبعد كل خطر فى أن يسقط البرج على جانبه فمركز الوزن وهو ما يسميه

العلماء بمركز الثقل ما زال ضمن نطاق قاعدة البرج ... وطالما ظـل مركـز الثقل باقياً داخل دائرة قاعدة البرج فلن يسقط.

وقد أضيفت شهرة أخرى إلى شهرة برج بيزا المائل ، عندما قام العالم المشهور جاليليو بعمل إحدى تجاربه البارزة من فوقه إذ أسقط كرتين مختلفتين فى وزنهما فى لحظة واحدة واصطدمتا بالأرض فى وقت واحد أيضـاً واثبـت بذلك خطأ الفكرة القديمة القائلة بأن المادة الثقيلة تسقط أسرع من غيرها.

موزارت ... الطفل المعجزة ...!

عاش خمسة وثلاثين عاماً ... ألف خلالها ٦٠٠ عملاً من بينها عدد من السيمفونيات والأوبرات ، كان موزارت وهو طفل معجزة زمانه ... إذ كان يؤلف الألحان ويعزف على الهاربسكورد والارغن والكمان فيما بين الرابعة والسابعة من عمره ، وتميز باستعداد موسيقى نادر ... وكان والده ليوبولد موزارت موسيقى أشتهر بمؤلفاته وبمدرسة للكمان عرفت فى كل أنحاء أوربا.

وتيقظت مواهب موزارت – الذى ولد عام ١٧٥٦م بمدينة سالزبورج بالنمسا – فى الرابعة من عمره وأشرف أبوه على تعليمه ، فما أن أتم السادسة حتى أخذ أبوه يجول به أوربا طولاً وعرضاً ، فعزف فى بلاط فيينا الإمبراطورى ، وأمام مدام بومبادور ولويس الخامس عشر فى فرساى ، وجورج الثالث ملك إنجلترا ، وأمير أورانج فى لاهاى ، وفى قصور أمراء الدويلات الألمانية كلها.

وحرص أبوه على تقويم ثقافته الموسيقية ، فمر به على مانهايم لكى يسمع أشهر أوركسترا أوربى فى ذلك الزمان ، واصطحبه إلى إيطاليا قمة الفن الغنائى ، فطلب الإيطاليون إلى الغلام أن يؤلف رواية تمثل فى ميلانو ونفذت بنجاح تحت قيادته وأنعم عليه البابا بوسام ، واختارته الأكاديمية " الفلهارمونية "

فى فلورنسا عضواً مؤلفاً ... كل هذا وعمره لم يتعد الرابعة عشر فقط.

إن موزارت ، معاصر هايدن ، قد ألف رباعيات وخماسيات وأعمالاً اوركسترالية شتى بروح جديدة ، وفى تعمق لم يبلغه هايدن ، كما ألف روايات غنائية لا تصل إليها أعمال أعظم الموسيقيين فى إيطاليا وألمانيا مثل " زواج فيجارو " و " دون جيوفانى " و " الناى المسحور " التى تعد كنز المسرح الغنائى ... وكتب الكونشرتو لكثير من الآلات ويعتبر ما ألفه منها للبيانو فاتحة عصر الكونشرتو الحديث ، ووضع فى الموسيقى الدينية أعمالاً رفيعة.

ولهذه الإنجازات الكبيرة عمل موزارت كملحن رسمى فى القصر الإمبراطورى بالنمسا ولكن من المعروف أنه لم يكن على علاقة جيدة مع الطبقة الحاكمة والبلاط ، فقد استخف بأهل القصر ولم يكن سلوكه يليق دائماً بمقام الإمبراطور والعائلة المالكة علاوة على ذلك اعتبر الموسيقار أن الأجر الذى يتلقاه مقابل عمله لم يكن كافياً لتغطية تكاليف حياته وحياة زوجته وطفله الصغير، وبعد مغادرة القصر بدأ يعمل لحساب مسارح ودور أوبرا خاصة ، مما أوقعه فى الديون ومرض بالاكتئاب ، وفى هذه الفترة بالذات صعقه خبر موت أبيه فى مسقط رأسه سالزبورج ، ما دفعه إلى البدء بكتابه أوبرا تكريماً لروح أبيه الذى عمل هو أيضاً كموسيقى محترف وكان له الفضل فى اكتشاف موزارت الصغير وتنمية مواهبه ، وفى عام ١٧٩١م توفى موزارت فى شقته المتواضعة فى فيينا عن عمر يناهز ٣٥عاماً ودفن فى مقبرة جماعية شأنه شأن أبسط أهل مدينة الموسيقى والموسيقيين.

حفل شاى بوسطن
شرارة حرب الاستقلال الأمريكية

كان حفل شاى بوسطن الشرارة الأولى فى حرب الاستقلال الأمريكية ، وأطلق اسم حفل شاى بوسطن على تلك العملية التى حاصر خلالها خمسون من الأهالى المتنكرين فى زى الهنود الحمر السفن الراسية فى ميناء بوسطن والمحملة بالشاى ، وحطموا صناديق الشاى ثم أفرغوه فى البحر ، مما اعتبر بمثابة الطلقة الأولى فى حرب الاستقلال .

وقام بهذه الحرب أهالى المستعمرات الثلاث عشرة فى أمريكا الشمالية بين عامى (١٧٧٥ – ١٧٨٣م) تلك المستعمرات التى كانت تحتلها بريطانيا ، وكانت الأسباب التى أدت إلى هذه الحرب هى اعتراض تلك الولايات على ما تفرضه بريطانيا من ضرائب والمطالبة بحرية التجارة مع الدول الأخرى ، ومن هذه الضرائب ما فرضته بريطانيا على الشاى مما أثار الأمريكيين فأعلنوا معارضتهم لكافة الضرائب سواء داخلية أو خارجية.

وسرعان ما نشب القتال بين القوات البريطانية وأهالى الولايات ... وعهد الأمريكيون إلى جورج واشنطون ليقود جيوشهم ... وفى أثناء الحرب ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية فى ٤ يوليو ١٧٧٦م وهو اليوم الذى اختارته ثلاث عشرة ولاية لإعلان الاستقلال ... فقد كان كثير من الناس فى هذه

الولايات يحاولون الاستقلال عن إنجلترا ، ولكن لم تكن هناك لولاية بمفردها قوة كافية تمكنها من الوقوف وحدها ، وفى عام ١٧٧٥م دعا زعماء الولايات إلى اجتماع يعقد فى فيلادلفيا ، وكونوا " الكونجرس القارى " نسبة إلى القارة ، وفى شهر يوليو من العام التالى اجتمعوا ثانية وقرروا العمل معاً لإعلان استقلالهم فى وثيقة تاريخية شهيرة.

نصت الوثيقة على أسباب رغبة الولايات فى الحرية ، ودونت المظالم التى نزلت بها ، ونص الإعلان على أن الولايات ستخوض حروبها بنفسها وتضع سلامها بنفسها وتزاول التجارة بما تراه ملائماً لها وتسلك كل الأمور بوصفها أمة مستقلة ... وكان " جون هانكوك " رئيساً للكونجرس القارى عندما اختارت الولايات إعلان الاستقلال ، وقد كتب " توماس جيفرسون " الجزء الأعظم من وثيقة هذا الإعلان ، وعاونه فى هذه المهمة مشاهير الرجال من أمثال جون آدمز ، وبنيامين فرانكلين ... وقد وقع ستة وستون رجلاً على الإعلان الذى تنص الجملة الأخيرة منه على أن هؤلاء الرجال بتوقيعهم ، قد تعهد كل منهم للآخر " بحياتنا وثرواتنا وشرفنا المقدس ".

وفى الوقت الذى أعلنت فيه الولايات استقلالها ، كانت حرب الاستقلال التى بدأت بإطلاق النيران فى لكسنجتون عام ١٧٧٥م لا تزال مستمرة ولقى واشنطن هزيمة فى محاولة طرد الإنجليز من بوسطن ثم تحالف مع الفرنسيين فتمكن من هزيمة الإنجليز أمام فلادلفيا ، ثم انتصر انتصاراً حاسماً فى عام ١٧٨١م ضد القائد الإنجليزى " كورن ولاس " فى معركة يوركتون ، وتلا ذلك إخلاء الإنجليز لنيويورك ... وفى عام ١٧٨٣م اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة ، وفى عام ١٧٨٩م انتخب جورج واشنطن أول رئيس للجمهورية الأمريكية المستقلة ثم أعيد انتخابه فى عام ١٧٩٣م ولكنه انسحب بعدها من الحياة العامة.

ومما يذكر عن جورج واشنطن أنه من أسرة إنجليزية الأصل ، هاجرت إلى أمريكا فى القرن (١٧) واشتغل بالفلاحة ، ونال ثروة ورثها عن عمه زادها بزواجه من أرملة ثرية ، وبدأ حياته العامة بالدفاع عن ولاية فرجينيا بالاشتراك مع قوة بريطانية ضد التحرش الفرنسى ، ولكنه انصرف بعدها إلى العناية بمزرعته الشهيرة " ماونت فرنون " ، حتى بدأ الصراع بين الولايات المتحدة وبريطانيا ، عاش بين عامى (١٧٣٢ – ١٧٩٩م).

الفيدرالية ... والكونفدرالية

الفيدرالية هى اتحاد اختيارى بين دول أو ولايات تختلف قومياً أو عرقياً أو ديانة أو لغة أو ثقافة ، حتى تتحول إلى شخصية قانونية واحدة أو نظام سياسى واحد ، مع احتفاظ أجزاء هذه الشخصية المتحدة بخصوصيتها وهويتها ، ويوجد تفويض للكيان المركزى للإتحاد ببعض الصلاحيات المشتركة ، مع الاحتفاظ ببعض الصلاحيات لهذه الأجزاء أو الولايات .

وعلى ذلك ففى الاتحاد الفيدرالى (المركزى) تفقد الدول أو الولايات أو الأقاليم المتحدة شخصيتها الدولية بالاتصهار فى الدولة الفيدرالية ، كما توجد جنسية واحدة هى جنسية الدول الفيدرالية ، ويعتبر اقليم الدولة الفيدرالية اقليماً واحداً يتكون من مجموع أقاليم الولايات الداخلة فى الإتحاد وتعتبر حدود هذا الإقليم الموحد حدوداً للدولة الاتحادية ، وعلى ذلك تعد الحرب داخل الاتحاد حرباً أهلية ، ولا يجوز للولايات الداخلة فى الاتحاد الانفصال بل يمكن إرغامها على البقاء داخل الاتحاد ، وللاتحاد الفيدرالى دستور موحد ، بالإضافة إلى دستور خاص بكل اقليم من الأقاليم على ألا يتعارض مع الدستور الفيدرالى ، كما يتسم الاتحاد الفيدرالى بوجود السلطات الثلاث (التشريعية ، التنفيذية ، القضائية) على مستوى الاتحاد الفيدرالى تكون مختصة بشئون الاتحاد وتمارس

اختصاصاتها بالاستناد إلى الدستور الفيدرالى ، بالإضافة إلى وجود سلطات ثلاث مثلها فى كل اقليم من الأقاليم المكونة للاتحاد وتمارس اختصاصاتها استناداً إلى دستور الإقليم ، وتعتبر هيئات الأقاليم هيئات حاكمة مستقلة فى ممارسة اختصاصاتها فى حدود دستور الإقليم ومن أبرز أمثلة الاتحاد الفيدرالى الولايات المتحدة الأمريكية .

أما فى الاتحاد الكونفدرالى (الاستقلالى) فإن الدول أو الأقاليم المتحدة تحتفظ بشخصيتها القانونية والدولية ويكون لكل منها الحق فى مباشرة كافة مظاهر السيادة ، كما تتعدد الجنسيات داخل الاتحاد بعدد الحكومات المؤلفة ، وتعد الحرب داخل الاتحاد حرباً دولية ، ويحق لكل دولة الانفصال عن الاتحاد الكونفدرالى ، كما أن قرارات الاتحاد تكون بإجماع الدول أو الأقاليم المتحدة. ومن أبرز أمثلة الاتحاد الكونفدرالى الاتحاد الأوربى ، واتحاد دول الكومنولث.

ومن الناحية التاريخية فإن أصول الفيدرالية تعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد ظهرت أمريكا على مسرح الأحداث على أنها كونفدرالية ، وحكمت البلاد حكومة مركزية ضعيفة منذ سنة ١٧٨٣ إلى سنة ١٧٨٩م وكان لكل ولاية صوت واحد فى الكونجرس لكنه لم يكن قادراً على جمع الضرائب لتفعيل عمل الحكومة المركزية ، وكانت الكونفدرالية تفتقر إلى سلطة تنفيذية عليا ولم يكن لها جسم مركزى يستطيع إخضاع الأطراف لقوانينه ، فكان أن رفضت بعض الولايات تطبيق اتفاقيات باريس سنة ١٧٨٣م الخاصة بإنهاء الثورة الأمريكية رغم أن الدستور الكونفدرالى يعطى الكونجرس حق عقد الاتفاقيات بالنيابة عن جميع الولايات ، وعلى الجانب الاقتصادى وقف الكونجرس عاجزاً عن الوقوف بوجه التنافس التجارى مما شل الاقتصاد الوطنى، وزاد الطين بلة ما قامت به بعض الولايات حين فرضت ضرائب كبيرة على البضائع التى تأتى من الولايات المجاورة ، كانت الأزمة الاقتصادية

تهدد أميركا الفتية بالانهيار ولم تكن هناك سلطة سياسية تستطيع أن تلقى على عاتقها مهمة إصلاح الوضع، وعبر جورج واشنطن – الرئيس بعد ذلك – عن الأزمة بقوله : " إن عجلة الحكومة متوقفة " كما اعرب مع غيره من السياسيين عن حاجة البلاد لاعطاء الحكومة المركزية سلطات أكثر لكنهم أرادوا ألا تهدر حقوق الولايات فى الوقت نفسه ، فعقد رجال السياسة الأمريكيين اجتماعاً لمناقشة الدستور ، واتفقت الولايات فى سنة ١٧٨٧م على تطوير هذا الاتحاد إلى اتحاد فيدرالى قوى وحددت مبادئ الفيدرالية الحديثة منذ ذلك الحين ، فقد حدد دستور سنة ١٧٨٧م الذى أصبح نافذ المفعول سنة ١٧٨٩ اختصاصات الدولة الفيدرالية على سبيل الحصر وترك ما عدا ذلك من السلطات إلى سلطة الولايات .

سلويت

السلويت نوع من الفنون يعتمد على استخدام اللون الأسود على خلفية بيضاء ، لإظهار الحدود الخارجية للرسم أو الصورة ، ويطلق عليه أحياناً التصوير التضادى .

سمى هذا الفن بالسلويت نسبة إلى ايتين دى سلويت وزير مالية فرنسا أثناء حكم لويس الخامس عشر حيث كان يصنع أشكالاً من الورق الأسود ، ويقصها بالمقص ، ثم يلصقها على ورق أبيض.

ويعتمد هذا الفن فى الأساس على الرسم ، لذا يجب أن يكون فنان السلويت رساماً ، حتى يجيده ، وهو فن يتميز بقوة التركيز ، معتمداً على أدوات بسيطة هى المقص والأوراق البيضاء والسوداء ، ولا يستغرق تنفيذ اللوحة الواحدة من هذا الفن سوى ثوانٍ معدودة.

كما يعتبر فن السلويت إضاءة عكسية ، حيث يتم التصوير عكس الضوء، فتكون الخلفية منيرة والأمامية التى بها الشئ المراد تصويره مظلمة ، ولم ينتشر هذا الفن على نطاق واسع كباقى الفنون لكنه موجود بصورة أكبر فى فرنسا وألمانيا واليابان عن باقى دول العالم.

الثورة الفرنسية

تعد الثورة الفرنسية فترة تحولات سياسية واجتماعية كبرى فى التاريخ السياسى والثقافى لفرنسا وأوربا بوجه عام ، بدأت الثورة عام ١٧٨٩ وانتهت تقريباً عام ١٧٩٩ ، عملت حكومات الثورة الفرنسية على إلغاء الملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الأرستقراطية ، والنفوذ الدينى الكاثوليكى .

وقد تضافرت عوامل عديدة فى فرنسا أدت إلى حدوث الثورة ، فعلى صعيد الأحوال الاجتماعية والسياسية كانت فرنسا تعيش حالة من الاستقرار النسبى فى ظل حكم لويس الرابع عشر الذى اهتم بالفنون والآداب ونال حب الشعب واحترامه ، ولكن بعد وفاته وانتقال العرش إلى رجال أقل منه شأناً ، بدأ العبء ينزلق تدريجياً عن كاهل الملك ووزرائه إلى كاهل الطبقة المتوسطة التى كانت قد بدأت تبرز للوجود ، وبخاصة فى عهد لويس السادس عشر الذى اتسم بضعف الشخصية ، وكان أفراد هذه الطبقة المتوسطة فى معظمهم متعلمين وميسورى الحال ، ومن ثم بدأوا يشعرون بعدم الرضا عن المكانة الدنيا التى يحتلونها بالقياس بطبقة النبلاء وأصحاب المقام الرفيع فى الكنيسة ، فكان تذمرهم وتمردهم على هذه الأوضاع من العوامل التى أشعلت فتيل الثورة

بالتحالف مع العامة أو من يسمونهم بالطبقة الثالثة التى كانت ترزح فى أوضاع سيئة فى ظل النظام الاقطاعى السائد آنذاك .

أما عن الأحوال الاقتصادية فقد بلغت غاية السوء للدرجة التى لم تستطع فيها الحكومة أن توفر للشعب الغذاء الكافى وكان ذلك نتيجة الحروب الطويلة ، والبذخ على المستويين العام والخاص ، وضعف الملوك وعجز الوزراء عن التمسك بالسياسات الموحدة ، كل هذا أدى إلى حالة من الفوضى الاقتصادية فى البلاد ولم يستطع أحد علاجها حتى تفاقمت الديون على فرنسا .

وبعد أن ساءت الأحوال الاقتصادية وزادت الضرائب المفروضة قرر الملك عقد مجلس الطبقات فى ٥ مايو ١٧٨٩ م الذى جاء على هوى الطبقة الأرستقراطية فقد كانت التقاليد تقضى بأن يتألف المجلس من ثلاث هيئات منتخبة تمثل إحداها (الملك – الكنيسة) وتمثل الثانية " النبلاء " والثالثة تمثل "الشعب" وكان الاقتراع يتم على هيئة ثلاث وحدات منفصلة وليس طبقاً لعدد الأعضاء ، ولما كانت طبقة رجال الكنيسة خاضعة لسيطرة النبلاء الذين يتقلدون المناصب الرفيعة فى الكنيسة لقاء الخدمات التى يقدمونها ، فقد كانت هاتان الطبقتان على يقين دائم من الحصول على أغلبية الأصوات ، وبالتالى يقوم أبناء الطبقة الثالثة – الشعب – بتحمل عبء الضرائب المفروضة وحدهم .

وقد دامت أحداث الثورة الفرنسية عشر سنوات ، ومرت عبر ثلاث مراحل أساسية ، المرحلة الأولى (يوليو ١٧٨٩ – أغسطس ١٧٩٢ م) وهى فترة الملكية الدستورية التى تميزت بتأسيس الجمعية الوطنية ، واحتلال سجن الباستيل ، وإلغاء جميع الامتيازات الإقطاعية ، وإصدار بيان حقوق الإنسان ، ووضع أول دستور للبلاد ... أما المرحلة الثانية (أغسطس ١٧٩٢ – يوليو ١٧٩٤ م) فكانت بداية النظام الجمهورى حيث تم إعدام الملك لويس السادس

عشر وزوجته الملكة مارى انطوانيت ، وتم إلغـاء الملكيـة ، وإقامـة نظـام جمهورى ... ثم شهدت الفترة الثالثـة (يوليـو ١٧٩٤ – نـوفمبر ١٧٩٩م) تراجعاً فى التيار الثورى ، وعودة التيارات المعتدلة التى سيطرت على الحكـم ووضعت دستورا جديداً ، وتحالفت مع الجيش وانتهت بقيام نابليون بونـابرت بانقلاب عسكرى ، وضع حداً للثورة وأقام نظاماً جديداً .

نابليون بونابرت

ولد نابليون بونابرت فى جزيرة كورسيكا التى كانت تابعة لفرنسا عام ١٧٦٩م من أبوين فقيرين على الرغم من أن والده كان من سلالة أسرة نبيلة ، وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره التحق بالمدرسة الحربية فى باريس وبعد سنة واحدة أصبح جندياً نظامياً ثم ضابطاً ، وفى عام ١٧٨٩م اشترك فى الثورة الفرنسية التى أطاحت بالملكية وتحولت فرنسا إلى جمهورية .

ولمع اسمه لأول مرة فى حصاره تولون عام ١٧٩٣م حين كان يقاتل من أجل الجمهورية الفرنسية الجديدة ، وفى سنة ١٧٩٦م ذاع صيته فى إيطاليا حين هزم النمساويين والسردينيين هزيمة ساحقة ، ثم انتخب قائداً للحملة على مصر عام ١٧٩٨م لتحويل تجارة الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى طريق البحر الأحمر ، رغبة فى هدم سيادة بريطانيا التجارية وإنشاء قاعدة لغزو ممتلكاتها فى الشرق نظراً إلى أن سيادتها البحرية كانت تحول بين فرنسا وغزو إنجلترا فى بلادها ... وفى عام ١٧٩٩م عاد سراً إلى باريس ووجد البلاد فى حالة سيئة فتمكن من قلب نظام الحكم وإعلان القنصلية الثلاثية ثم انتخابه قنصلاً مدى الحياة .

وتمكن بإصلاحاته الداخلية وانتصاراته الخارجية وتحالفه مع البابوية من

تنصيب نفسه إمبراطوراً على فرنسا فى عام ١٨٠٤م ثم أعقب ذلك سلسلة من الانتصارات العظيمة وحاول غزو إنجلترا ولكن نلسون باغت قواته فى موقعة الطرف الأغر عام ١٨٠٥م وهزمها.

وفى عام ١٩١١م حاول نابليون غزو روسيا بعد أن سيطر على أغلب دول أوربا ، واتبع معه الروس خطة محكمة ، فقد تراجعوا أمامه ومضى طويلاً فى بلادهم الواسعة الأطراف والمتشعبة المسالك ، ولم يشتبكوا معه إلا عند نهر (برودينو) حيث تقاتل الفريقان على غير جدوى ، ثم عاد الروس إلى خطتهم الأولى ، وأخذوا يتقهقرون دون أن يتركوا مدينة واحدة أو قرية إلا وجردوها من كل ما ينتفع به الغزاة ، وظل نابليون يتقدم فى تلك الأراضى الموحشة حتى دخل موسكو فى ١٤ سبتمبر ١٨١٢م ، وذهل لما رآه فيها من السكون المخيم والوحشة الشاملة بعد انسحاب أهلها منها.

وما كاد الليل يحل حتى اشتعلت فى موسكو النيران من كل جانب بفعل حاكم المدينة ، فارتد نابليون إلى خارج أسوارها ، وظل ينتظر عبثاً أن يطلب الروس الصلح فلم ير بديلاً عن أن يعود لأن فصل الشتاء كان قد دنا ، وفى طريق عودته صوب الحدود الأوربية لاقت قواته فى طريقها نكبات وكوارث مزقتها ، إذ كان البرد قارساً والطريق مقفراً ، وجيوش الروس تهاجمها من كل جانب ولم يفلت عند الحدود من ذلك الجيش الضخم الذى بلغ ستمائة ألف مقاتل إلا نحو مائة ألف فقط.

وانقلب عليه الفرنسيون ، وتكاتفت ضده الدول ، فنزل عن العرش بلا قيد ولا شرط ، وفى أبريل ١٨١٤م استقر الرأى على أن يحتفظ بلقب إمبراطور وأن يمنح ملك جزيرة (إلبا) ولكنه بعد عام عاد سراً إلى فرنسا حيث هرع إليه أنصاره وجنده القدماء ، فزحف إلى باريس ودخلها فى ٢١ مارس ١٨١٥م وحكم فيها " مائة يوم " ، ولكن دول أوربا تعاونت عليه مرة أخرى وهزمته

جيوش "ولنجتون" فى موقعة " ووترلو " ونفى إلى جزيرة " سانت هيلانة " وبقى سجيناً بها إلى أن مات فى المنفى فى ٥ مايو ١٨٢١م ، وظل مدفوناً بها حتى نقلت رفاته عام ١٨٤٠م إلى قبة " الانفاليد " بباريس.

وقد تزوج نابليون مرتين الأولى من جوزفين بوهارنيه عام ١٧٩٥م ، ولكن لرغبته الشديدة فى ابن يخلفه على العرش طلقها وتزوج من مارى لويز ابنة إمبراطور النمسا عام ١٨٠٩م ، وأنجبت له ابناً أحيط بأعظم مظاهر الترف والأبهة التى لم يحظ بها طفل من قبل ، ومنحه نابليون لقب ملك روما.

سجن الباستيل

الباستيل سجن أنشئ فى فرنسا بين عامى ١٣٧٠ و ١٣٨٣م كحصن للدفاع عن باريس ، ثم كسجن للمعارضين السياسيين والمسجونين الدينيين والمحرضين ضد الدولة ، وأصبح على مدار السنين رمزاً للطغيان والظلم وانطلقت منه الشرارة الأولى للثورة الفرنسية فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ ، وما تزال فرنسا حتى اليوم تحتفل بمناسبة اقتحام السجن باعتباره اليوم الوطنى لفرنسا فى الرابع عشر من يوليو من كل عام.

كان اسمه الاصلى " الباستيد " ويعنى " الحصن " باللغة الفرنسية ، وقد أقيم بأمر من شارل الخامس ويتكون من ثمانية أبراج بارتفاع ٢٤ متراً ، وبسمك ثلاثة أمتار من القاعدة ، وحوالى مترين عند القمة ، واستغرق البناء ١٢عاماً ، وكان للباستيل باب جانبى يستخدمه الملك للدخول والخروج سراً من باريس .

ولم يكن الباستيل مخزناً للسلاح والذخيرة فقط ، بل كان أيضاً من القرن الخامس عشر حتى عهد لويس الرابع عشر مخزناً لجواهر التاج وكنوزه ومقراً لخزانة الدولة ، ومما يذكر أن هنرى الرابع ملك فرنسا أودع فى الباستيل عام ١٦٠٠م مبلغ ١٣ مليون جنيه ذهباً استعداداً لحربه مع أسبانيا .

ومنذ البداية تقريباً تحول الباستيل من حصن عسكرى إلى سجن لأعداء الملك ولتأديب النبلاء الذين ينحرف سلوكهم فى البلاط . وبعد مائة سنة من الهدوء النسبى اتسع الأمر ليشمل سجناء العقيدة الدينية مثل البروتستانت والجزويت ، كما دخل الباستيل قلة من منتهكى القانون العام ، وتميز الباستيل عن سجون فرنسا الأخرى بأهمية ضيوفه أو بشهرة الجرائم التى ارتكبوها .

ومن أشهر نزلائه المتهمون فى قضية السموم فى عهد لويس الرابع عشر ، وقضية جواهر الملكة أيام لويس السادس عشر . وكان لويس الحادى عشر أو موحد فرنسا أول من استعمل الباستيل سجناً للدولة وخصصه للمسجونين السياسيين المتآمرين عليه لقلب نظام الحكم ولا سيما فى صراعه مع شارل الجسور وقد أضاف لويس الحادى عشر إلى الباستيل "أقفاصاً" من قضبان الحديد لا تسمح بالوقوف داخلها ، وكان أول من ابتكرها له الأسقف " فردان " الذى زود هذه الأقفاص بسلاسل غليظة تنتهى بكرات حديدية ثقيلة تقيد حركة القدمين ، وسجن هذا الأسقف نفسه فيها ١٤ سنة لأنه تآمر على الملك ، ثم أفرج عنه .

كذلك سجن لويس الحادى عشر الكونت لويس دى لوكسمبروج عام ١٤٧٥ وجاك ارمنياك ودوق نمور حاكم باريس عام ١٤٧٧ ، وبقى كل منهما فى الباستيل عدة أسابيع فقط ريثما يحاكمه البرلمان بتهمة التآمر على الملك ثم خرج لتنفيذ حكم الإعدام فيه علناً فى ميدان السوق (الهال) ومنذ عهد لويس الحادى عشر كانت هناك فى الباستيل غرف خاصة بالتعذيب ، لا لاستخلاص الاعترافات ولكن للتحضير للموت .

منذ تحول الباستيل من قلعة إلى سجن كان سجناً " ملكياً " تابعاً للملك مباشرة ينفق عليه من أمواله الخاصة ، ويجرى فيه كل شئ بعيداً عن رقابة القانون العام ، ولم تكن تجرى فيه الاعدامات ، وإنما كان محطة للتحقيق

والمحاكمة السياسية عن طريق برلمان باريس ثم التوزيع على السجون الأخرى، وفى بعض الأحوال النفى أو الاعتقال مدى الحياة فى الأديرة أيضاً أو الإعدام، وهذا لم يمنع طبعاً احتجاز بعض الشخصيات فى الباستيل بـــأمر الملـــك مـــدى الحياة أو لسنوات مديدة .

أشهر متحف شمع فى العالم

يعد متحف " مدام توسو " الذى يوجد فى لندن أشهر متاحف العالم التى تضم تماثيل من الشمع ... ومدام توسو هى السيدة الشابة التى أنشـــأته بعـــد أن عاصرت أهوال الثورة الفرنسية ثم انتقلت إلى إنجلترا لتعيش بقيه حياتها إلى أن توفيت عام ١٨٥٠م عن ٨٩ عاماً .

ولدت فى سويسرا واسمها الحقيقى (آن مارى جروشولتز) ومهـــرت فى استخدام شمع النحل لعمل تماثيل كانت الحياة تكاد تشع منها بدرجة لم يسبقها إليها أحد ، وقد اكتسبت هذه المهارة من عمها وهى لا تزال فى مرحلة الشباب.

بدأت فى صنع أول تماثيلها وهى فى السابعة عشرة ، وكـــان للكاتـــب الفرنسى " فولتير " ولا يزال التمثال موجوداً بالمتحف حتـــى الآن ... وذاعـــت شهرة مارى وأصبحت صديقة مقربة لملك فرنسا لويس السادس عشر والملكـــة مارى أنطوانيت ، وقد تسببت هذه الصداقة فيما بعد فى كثير من المعاناة لمارى التى كانت فى باريس فى عام ١٧٨٩م عندما اقتحم الثوار الباستيل ، وقد قتل فى أحد القصور ثلاثة أخوة لها واثنان من أعمامها ، وعلى الرغم من ذلك رفضت مارى الهرب ، بالرغم من أن تعاطفها مع الملكين جعل موقفها خطراً .

ويرجع الفضل فى إنقاذ حياتها إلى مهارتها الفنية ، ذلك أنه عندما ألقى

بها فى سجن " لافورس " المخيف وحلق شعرها تماماً ، ظلت تعمل والمقصلة فوق رأسها ، وقد أجبرت على عمل تماثيل من الشمع للرؤوس التى كان يتم إعدام أصحابها بالمقصلة ، وكان كثير من هذه الرؤوس لأعز أصدقائها منها رأس لويس السادس عشر ورأس مارى أنطوانيت ، وكان رجال الثورة يحتاجون لتلك التماثيل لعرضها فى أماكن أخرى إثباتاً للانتصارات التى حققوها.

وأخيراً أطلق سراحها وعلمت أن عمها قد توفى وأنها أصبحت مسئولة عن ديونه ، لذلك بدأت على الفور فى إعادة بناء متحف الشمع الخاص به ، وانكبت على العمل بجد ومثابرة وبدأت الحياة تعود إلى طبيعتها ، وفى عام ١٧٩٥م تزوجت من مهندس يدعى " فرنسوا توسو " إلا أن حياتها الزوجية لم تستمر فانفصلا عام ١٨٠٢م ، وعلى الرغم من ذلك إلا أنها استمرت تحمل اسمه إلى نهاية حياتها ، وفى نفس العام نقلت بعض تماثيلها إلى لندن والى أدنبره ، غير أنه حدث فى عام ١٨٠٤ م وهى فى طريقها بحراً إلى ايرلندا أن تحطمت السفينة التى كانت تقلها وغرقت جميع تماثيلها ، ولكن لم تمض ثلاثة شهور على ذلك الحادث حتى تمكنت من إعادة افتتاح المعرض الذى كانت تعمل لإقامته ، غير أن سوء الحظ لم يتوقف عند ذلك ففى عام ١٨٠٨م صودرت تماثيل الشمع التى كانت قد تركتها فى عهدة زوجها بباريس وفاءً لديونه.

وفى عام ١٨١١م عادت مدام توسو إلى إنجلترا ، وأخذ حظها يتبدل ، واستقرت بمعرضها فى لندن ، واستمرت هناك حتى عام ١٨٤٢م عندما صنعت آخر تماثيلها ، وهو تمثال لها يحفظ الأن بمكان دائم فى المتحف ، ثم تقاعدت عن العمل حتى توفيت عام ١٨٥٠م.

وفى عام ١٨٨٤م نقل متحفها إلى مكانه الحالى ... وقد تعرض المتحف عام ١٩٢٥م لحريق هائل واستغرق إصلاح التلفيات ثلاث سنوات ، وفى

الحرب العالمية الثانية أصابته قنبلة وبعد ثلاثة شهور عاد للعمل.

ويضم المتحف اليوم أكثر من (٥٠٠ تمثال) وقد ظل الأسلوب المستخدم فى صناعة التماثيل هو نفس الأسلوب الذى كانت تستخدمه مدام توسو ... فيما عدا أن الصور الفوتوغرافية أصبحت تستخدم للمساعدة فى إبراز ملامح الشخصيات لاسيما أن بعض هذه التماثيل لشخصيات من أقصى أنحاء العالم ... ويلاحظ أن جميع التماثيل تصنع بالحجم الطبيعى تماماً ويستخدم الشعر الطبيعى فى تغطية الرأس وهو عمل يقوم به خبراء متخصصون ، وفى بعض الأحيان تقوم الشخصيات التى تمثل بتقديم الملابس التى ستكسو التمثال.

جوته ... يبحر فى تيار الفكر العربى

يعد يوهان فولفغانغ فون جوته (١٧٤٩ – ١٨٣٢ م) الذى ولد فى مدينة فرانكفورت ، أشهر أديب وشاعر ألمانى ، ويعتبره بعض النقاد رابع عظماء الأدب العالمى إلى جانب هوميروس مؤلف الإلياذة ، ودانتى مؤلف الكوميديا الإلهية ، وشكسبير ، أدهشته الحضارتان العربية والفارسية ، وترجمات معانى القرآن الكريم التى برزت واضحة المعالم فى أشعاره ، إلى الحد الذى جعل البعض يؤكد أنه توفى مسلماً .

رحل جوته إلى " ستراسبورج " كى يتم بها دراسة الحقوق حيث كانت هذه الرحلة نقطة تحول فى حياته كشاعر وفنان إذ أنه التقى أثناء هذه الرحلة بالشاعر هردر وكذلك إحساسه بالحب لأول مرة فى حياته .

بعد هذه الرحلة عاد جوته ثانية إلى بلدته " فرانكفورت " حيث أخذ يمارس مهنة المحاماة وأثناء إقامته فى " فيتسير " التقى بحبه الثانى إلا أنه هذه المرة أخذ شكل المأساة حيث أحب خطيبة أحد أصدقائه الأمر الذى دعاه إلى كتابة رائعته (آلام فارتر) حيث كانت تحكى هذه الرواية نفس تجربته الشخصية فقد عاش بطل هذه الرواية نفس تجربة جوته إلا أنه أقدم فى النهاية على الانتحار .

كان جوته فى هذه المرحلة من اتباع الاتجاه الأدبى السائد فى ذلك العصر (العاصفة والتيار) الذى كان يقدم المشاعر على كل الاعتبارات .

إلا أنه وما كاد جوته يترك مرحلة الشباب إلى مرحلة النضج حتى شعر أنه بحاجة إلى دافع جديد ومحرك لفنه وهذا ما كان فى رحلته إلى إيطاليا ، حدث فى هذه الرحلة ما قلب حياة جوته رأساً على عقب فتحول جوته من الاتجاه الأدبى (العاصفة والتيار) إلى (الكلاسيكية) ، ففى هذه الرحلة احتك جوته بالأدب والفن الرومانى اليونانى القديم واتخذ من أدبائه مثله العليا مثل هومر وسوفوكليس ، وهناك أتم جوته عمله الأدبى (إيجمونت) وكتب أعمالاً أخرى واهتم أيضاً بكثير من أبحاث علم النباتات .

بعد رحلة جوته إلى إيطاليا التقى بـ " شيللر " والذى كان يصغره بحوالى عشر سنوات إلا أن أواصر الصداقة لم تجمع بينهما فى ذلك الوقت فلقد كان جوته منتمياً للاتجاه الكلاسيكى وكان شيللر منتمياً لاتجاه (العاصفة والتيار) ولم يلبث أن جمع القدر بينهما مرة أخرى فى صداقة قوية كان من نتاجها العمل الأدبى (إكسين) الذى جمع بين عقل حر متفتح على العالم يعشق الطبيعة بكل ما فيها من تمرد وتهور وجمال وبين عقل هو أقرب ما يكون للنموذجية فى الفكر والرأى والروح والعمل .

تأثر جوته بالفكر الأدبى العربى فقد بدأ فى كتابة مسرحية عن محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يتم كتابتها ، وقد وجدت بعد وفاته مخطوطات بها مشاهد من هذه المسرحية والتى يظهر منها أن جوته أراد أن يكتب نصاً منصفاً عن هذه الشخصية العربية الإسلامية العالمية ، حتى أنه صور النبى صلى الله عليه وسلم هادياً للبشر فى صورة نهر يبدأ التدفق رقيقاً هادئاً ثم لا يلبث أن يندفع فى شكل سيل عارم آخذاً معه البشرية نحو النهر المحيط (رمز

الألوهية) ... وفى هذا الصدد يكتب عن الإسلام فيقول :-

يـــا لحـــماقة البشـــــر عندمـــا

يصـــــر كل منـــــا على رأيه

إذا كـــان الإســـــلام معنـــــاه

أن نســـــــلـــم أمـــرنـــــا لله

فعلى الإسلام نعيش ونموت كلنا

كما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه جاء بأفكار عالمية جديدة ليشيع السلام والمساواة والإخاء فى العالم .

تعرف جوته على الشاعر الفارسى حافظ الشـيرازى ، وقـرأ كـذلك لشعراء فارسيين آخرين منهم الفردوسى وجلال الدين الرومى وأيضاً السعدى ، أما اهتمامه بالآداب العربية فلم يكن بالشئ الحديث فقد قرأ لكثير مـن شـعراء الجاهلية مثل امرئ القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن أبى سلمى ، عنترة بـن شداد وأيضاً عمرو بن كلثوم .

كما أن جوته لم يكتف بالقراءة فى الشعر العربى فقط بل قرأ أيضاً فـى النحو والصرف ، فقد كانت روحه متعطشة دائماً للعلم والمعرفة خارج حـدود المكان والزمان حتى أنه توجد مخطوطات حاول فيها جوته محاكاة وتقليد الخط العربى .

أما عن كتابه " الديوان الشرقى الغربى " فلم يظهر فيه الأثر العربى فقط وإنما ظهر فيه أيضاً بعض الكلمات العربية حتى أن جوته الحق بالديوان فصلاً

ضخماً يتضمن معلومات شارحة لموضوعاته ومعلومات عن الشعر الفارسى والعربى حتى يستطيع القارئ الألمانى أن يفهم هذا العمل .

والأكثر دليلاً على ذلك استخدام جوته لكلمة (ديوان) وهى كلمة عربية ذات أصل فارسى وغير شائعة الاستخدام فى اللغة الألمانية مما يؤكد رغبته فى إضفاء الروح العربية على هذا العمل .

ظهرت أولى طبعات الديوان عام ١٨١٩ وقسمه جوته إلى أثنى سفراً ، الشادى ، حافظ ، الحب ، التأمل ، الحزن ، الحكم ، تيمور ، زليخة ، الساقى ، الأمثال ، الفارسى ، والفردوس .

ويظهر فى هذا الديوان الكثير من التشبيهات العربية والغربية فى نفس الوقت على القارئ الألمانى وأيضاً الكثير من القرآن لغة ومضموناً مثل قصيدته :

" لله المشرق ، ولله المغرب ، والشمال والجنوب ، يستقران فى سلام يديه "

ونراه أيضاً يصف الجنة وشهداء المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

" إن موتاه يجب أن يحزنوا على الأعداء لأنهم يرقدون بلا عودة أما إخواننا فلا يجب أن نحزن عليهم إنهم يتجولون فى السماء ".

ويقول أيضاً :

منحنى الله حباً بحب

ومثلما فى عيون الحبيب عيونى

وأنا أذكـــر أســـماء الله المائة

يســـتجـــيب الله لك بكل اســـم

ثم عاود جوته العمل فى رائعته " فاوست " والتى أنهـــى الجـــزء الأول منها بعد موت شيللر فى ١٨٠٨ م ثم انتهى من الجزء الثانى منها فى عام وفاته ١٨٣٢ .

مات جوته وحيداً بعد موت زوجته وولده ودفن إلى جانب شـــيللر فـــى (فايمر) ، وكتب على شاهد قبره :

" وعلى شاهد قبرك سيقرأ الناس : إنك كنت بحق إنساناً "